مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 15 العدد 2، 2018، ص ص 615- 631

ما بعد موسم الهجرة إلى الشمال
قراءة نقديّة في سيرة إشراقة مصطفى حامد الذاتيّة (الدانوب يعرفني)

غسان إسماعيل عبد الخالق *

تاريخ الاستلام 2017/10/15 تاريخ القبول 2018/2/27

ملخص

يطمح هذا البحث، إلى تسليط الضوء على سيرة ذاتية نسوية عربية لافتة، من حيث الشكل والمضمون والأسلوب؛ فقد تميّزت الكاتبة السودانية إشراقة مصطفى حامد من خلال سيرتها الذاتية (الدانوب يعرفني) بسرد تجربتها الشخصية والسياسية والعلمية والثقافية، من منظور إنساني فسيح، بعيد عن التعصّب أو التجريح، رغم الظروف المريرة التي اختبرتها على امتداد سنوات طويلة. وقد عمل الباحث على استقراء هذه السيرة وتحليلها من منظور نقدي، فأبرز ما فيها من سمات إبداعية وافرة، ولم يدّخر وسعًا للتأشير على بعض المآخذ الأسلوبية والمضمونية فيها.

ما بعد موسم الهجرة

أطلقت رواية "موسم الهجرة إلى الشمال"[(1)] للطيب صالح، سيلاً من الروايات والسِّير الذاتيّة والسِّير الروائية التي تراهن على إعادة سرد إشكاليات العلاقة بين الشرق والغرب أو الشمال والجنوب أو الذكورة والأنوثة[(2)]، كما أعادت للأذهان سلسلة من الاشتباكات الروائية السابقة مع هذه الإشكاليات[(3)].

وإذا كان أدب الرحلة قد تمازج في هذه الاستعادات والاشتباكات، مع أدب السيرة في إطار السرد الروائي من جهة، وإذا كانت المرأة قد مثّلت حجر الرحى في كل هذه الاستعادات والاشتباكات من جهة ثانية[(4)]، فإن السيرة الروائية التي نقاربها في هذا البحث تمتاز بأنها تنحّي مفهوم الاقتصاص الحضاري المستند إلى الفحولة الجنسية[(5)]، لتُحِلّ محلّه منظور التفهم الحضاري المستند إلى وحدة المعاناة الإنسانية ووحدة المصير الإنساني، شرقًا وغربًا، رغم كل ما قد يشتمل عليه هذا المنظور من إدانة أو لوم أو عتب، على مركزية الغرب التي راكمت عبر قرنين من الزمان، العديد من الصور النمطية السلبية عن الشرق العربي.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2018.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا، عمان، الأردن.

ولو افترضنا أن أدب السيرة نهر متدفق تضجُّ على ضفته اليمنى ذاتُ الكاتب وأناهُ وتضجُّ على ضفته اليسرى ذاتُ المجتمع وهمومه، فإن سيرة الكاتبة السودانية إشراقة مصطفى حامد التي تدثّرت بهذا العنوان اللاّفت (الدانوب يعرفني)[6]، يمكن أن تجسّد هذا التعانق الحقيقي بين الذات والموضوع. إن هذا الرأي لا يلغي – طبعًا- حقيقة اشتمال بعض السِّير على هذا التعانق[7]، ولكنه يتطلّب أن نستدرك فنقول إن منسوب هذا التعانق لا يسامت المستوى الذي تم بلوغه في (الدانوب يعرفني)، سواء على مستوى الشكل أم على مستوى المضمون أم على مستوى الأسلوب.

موجز (الدانوب يعرفني)

ولدت إشراقة مصطفى حامد في مدينة "كوستي" بالسودان عام 1961، لأسرة فقيرة لكنها على حظ كبير من المشاعر الوطنية والانشغالات الثقافية. وقد شجّعها رجال الأسرة ونساؤها على مواصلة تعليمها الثانوي والجامعي، حتى حصلت على درجة البكالوريوس في الصحافة والإعلام من جامعة أم درمان بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف. لكن انخراطها في صفوف الحزب الشيوعي واليسار وجمعيات حقوق الإنسان، حال دون تعيينها مساعدة بحث وتدريس في الكلية التي تخرجت منها؛ فبادر أقاربها وأصدقاؤها للتبرع لها بنفقات السفر إلى النمسا في العام 1993.

وفي "فيينّا" اجتازت إشراقة كثيرًا من التجارب الواقعية المؤلمة والمفرحة، فعانت الجوع والفقر والأرق والاكتئاب والكدح والخوف الشديد من إمكانية الفشل في تعلّم اللغة الألمانية، ومن ثم الاضطرار إلى العودة للسودان. لكنها بعد معاناة شديدة جدًا، اجتازت اختبارات اللغة والتحقت بجامعة "فيينّا"، وحصلت منها على الماجستير ثم الدكتوراه. وقد واصلت خلال دراستها نضالها من أجل حقوق الإنسان بوجه عام ومن أجل حقوق المرأة وحماية البيئة بوجه خاص، كما واصلت تجاربها الكتابية في الشعر، ونشطت على صعيد نشر مقالاتها في الصحف العربية والأجنبية. وقد أتاح لها التدريس في الجامعات النمساوية والاحتكاك بأبرز المثقفين والفنانين النمساويين، فرصة الترجمة من الألمانية إلى العربية وبالعكس، كما أتاح لها فرصة العمل مستشارة لحكومة النمسا وبعض المنظمات الإنسانية.

الإقامة في "فيينّا"، أتاحت لها أيضًا فرصة الاطلاع عن كثب على واقع الهجرة سلبًا وإيجابًا، فتعمّقت في تشخيص مواقف اليمين المتطرّف المناوئ للمهاجرين، كما تعمّقت في تشخيص مواقف الوسط الديمقراطي والليبرالي المتعاطف معهم. وقد أكسبها هذا التوق للتعمّق خبرة إنسانية عالية وقدرة كبيرة على التأمل والتفلسف، في ضوء النماذج البشرية التي عرفتها عن قرب؛ فخبرت مشاعر التعاطف الإنساني النبيل والعميق لدى كل الأطراف، كما خبرت مشاعر الكراهية والتمييز الأعمى لدى كل الأطراف أيضًا. ومع أن تجاربها المؤلمة قد فاقت تجاربها المفرحة كمًا

ونوعًا، إلا أنها ظلّت متمسكة بإمكانية القيام بتعديلات جوهرية في الصور النمطية المتبادلة، ونجحت في تنفيذ العديد من المشاريع الثقافية والتنموية بين النمسا وبعض الأقطار العربية، وفي مقدمتها السودان.

وعلى الرغم من الثراء الذي تتسم به سيرتها الذاتية - على الصعيد الشخصي - قبل السفر إلى النمسا وبعد الوصول إليها، إلا أن انخراطها في العمل العام قد أربك – على الأرجح - حياتها العائلية، فنراها تلمِّح لزوجها ولأبنائها ولانفصالها عن زوجها تلميحًا وليس تصريحًا. وبوجه عام، فإنها تبدو في هذه السيرة الذاتية، راضية عما أنجزت وحققت ونالت من جوائز عديدة. كما تبدو راضية بكونها مواطنة نمساوية، رغم مشاعر الحسرة والمرارة التي تجتاحها كلما جاءَت على ذكر موطنها الأصلي السودان[8].

(الدانوب يعرفني) من حيث انتسابها لأدب السيرة

تبدو إشراقة مصطفى حامد في هذه السيرة، مدركة تمام الإدراك، حقيقة شروط العقد التي يجب الوفاء بها بين كاتب السيرة وقارئها من حيث: التوجّه له بضمير المتكلّم، والعمل على اكتساب ثقته وتعاطفه عبر زخّات متوالية من المباوحات والمصارحات العفوية والحميمة[9]، والحرص على إبقاء الضوء مسلّطًا على الذات دون مبالغة أو تضخيم. ليس هذا فحسب، بل هي تدرك أن أدب السيرة يمثِّل في المحصلة الأخيرة جيبًا من جيوب معطف الرواية، فلا تدّخر وسعًا لتوظيف مهاراتها السردية كليًا وجزئيًا؛ أعني أنها لم تدّخر وسعًا للاعتناء ببناء الإطار السردي العام لسيرتها فحافظت على تماسكه واطّراده من جهة، كما أنها من جهة أخرى لم تدّخر وسعًا لتأثيثه بالعشرات من القصص الفرعية الثانوية التي اضطلعت بمهمة تصليب المعمار الكلي لهذه السيرة الروائية التي تعالت مدماكًا فوق مدماك، حتى بلغت ستة وعشرين طابقًا أو فصلاً، كل فصل مُيّز بعنوان فرعي وختم بعبارة بارزة لافتة وزركشت حاشيته اليمنى بإشارة أو تنويه أو توضيح: (كثير من الحكايات والضحكات يعود صداها كل ليلة وتمتزج بحكايا من الماضي البعيد. أحد الطلاّب لم يكن مهتمًا بالقراءة والمذاكرة فقد حدّد خطته بأن يتزوج من نمساوية ويعمل، وليس مهمًا أن تكون عجوزًا أو شابة.. حوار طريف بلغة مكسَّرة بحلاوة الألسن المختلفة، عن العلاقات والأحلام والأهداف. الشابة التي تتكلم العربية اعترضت على فكرته الانتهازية حول الزواج، فإذا انبنى الزواج على غير حب كيف سيكون حال الأطفال؟ إذا كانت زوجة الأحلام غير مسلمة فماذا سيكون دين الأطفال؟ وأردفت: "الأوروبيات متحرّرات كثيرًا، يشربن السجائر والخمور على الملأ، وحتى العلاقات الخاصة يقمنها في الشارع")[10].

(الدانوب يعرفني) من حيث المضمون

اختارت الكاتبة - على صعيد المضمون- الجوهري والمؤثِّر والمُلْهِم، وأعرضت عن الهامشي والثانوي والمتاح، قدر الإمكان. فسيرتها ليست مجرّد سيرة نسوية عربية فحسب، أو مجرّد سيرة نسوية عربية تقدّميّة، بل هي سيرة نسوية عربية تقدّميّة عالمية في الوقت نفسه؛ أي أنها تقدم نموذجًا لنضال امرأة عربية مسيّسة دفعت ثمن مواقفها هجرة طوعية وقسرية في آن واحد، عن وطنها الذي أثخنته حراب الاستعمار، باتجاه إحدى أبرز عواصم الغرب المستعمِر، فلم تستكِن لتصنيفاته أو تحيّزاته، بل واجهتها وعملت على دحضها أو تصويبها أو تعديلها في عقرها، ونجحت أيضًا في استقطاب العديد من المناصرين والمتعاطفين والأصدقاء على امتداد رقعة الكرة الأرضية؛ من أميركا اللاتينية وشرق آسيا وأوروبا الشرقية فضلاً عن أوروبا الغربية وقارة أفريقيا: (متعبة روحي لحد التلاشي، وجسدي منهك وخائر... اللعنة! ما الذي يجبرني على أن أقوم بهذا العمل، عاملة نظافة لدى أسرة عربية، يحاولون تنميق هذه "المهنة" بالقول إني مربية للأطفال، يصطك سؤال جدّتهم التي جاءت لزيارتهم: "شوف البنت دي أخذت الزبالة"! نعم أخذتُها وقمت بتنظيف الطوابق الثلاثة، الحمامات تلمع من النظافة ليطيب لكم الجلوس فيها طويلاً حين يصاب أحدكم بالتخمة. ردَّدتُ في سرّي!! لعنت هذا العمل ولعنت "الشلنات" اللاتي لا يغنين من جوع، أتماسك حين تهاجمني بحنان قاس وجوه أهلي وأحلامهم بأن تتغير الحال يومًا ونكون "زي الناس")[11].

والحق أن كاتبة هذه السيرة تمثِّل نموذجًا للثورة العاقلة الموضوعية المعتدلة، سياسيًا وإيديولوجيًا واجتماعيًا؛ فهي وإن عبّرت بجرأة واضحة عن تناقضها مع النظام السياسي القائم في السودان وحمَّلته مسؤولية إيقاف وتيرة الديمقراطية والتنمية والتنوير، وهي رغم شعورها العميق بالمرارة جرّاء استبعادها من التعيين في كلية الإعلام رغم أنها أحرزت المرتبة الأولى في دفعتها، لأسباب تتعلق بنشاطها السياسي والثقافي، إلا أنها لا تدّخر وسعًا لتوصيف هذا التناقض توصيفًا موضوعيًا متجرّدًا، دون تجريح أو إسراف في الهجاء. بل إنها لا تدّخر وسعًا لتحميل الاستعمار الغاشم والرأسمالية المتوحشة والعولمة الطاحنة نصيبها من المسؤولية عن إفقار إفريقيا والإفريقيين، عبر استنزاف ثرواتها وثرواتهم ودعم الأنظمة السياسية الديكتاتورية في هذه القارة المجروحة من جهة أو إخضاعها وإخضاعهم لشروط الغرب وإملاءاته من جهة ثانية: (كيف تركتني أرحل كما رحل مئات النساء وآلاف الرجال؟ الهجرة التي لم تكن في السيرة السودانية معروفة كما عرفها التاريخ ما بعد انقلاب الإنقاذ. كان السودانيون قبلها يسافرون إلى الخليج وليبيا والعراق لهدف معيّن ومحدّد بفترة زمنية، وحالما يكتمل بناء البيت وما يحقق بناء أسرة يعودون إلى حضن الوطن. والسودانيات يسافرن لأجل العلم والدراسات العليا ثم يعدن إلى الديار أو يرافقن أزواجهن. تغيّرت الحال بعد الانقلاب العسكري بقيادة الإسلاميين في يوم الجمعة 30 يونيو

1989، وعبر سياسة التشريد والتمكين كان نصيبي مثل نصيب الآلاف من الناشطات والناشطين، فقد ضاقت الدنيا؛ الإحالة للصالح العام والاعتقالات والتضييق، ولم يتم تعييني في الجامعة التي تخرجت منها بدرجة مرتبة الشرف في الإعلام لنشاطي السياسي في الجبهة الديمقراطية)[12].

والكاتبة التي تمرَّدت على اللّباس التقليدي للمرأة السودانية والتحقت بصفوف الحزب الشيوعي بوجه خاص وصفوف اليسار بوجه عام، لا تدّخر وسعًا لبثّ أشواقها الروحية المتأصِّلة وتأكيد إيمانها العميق بالله وتوقيرها الشديد للإسلام ونبي المسلمين (محمد صلى الله عليه وسلّم) وكبار الصحابة (علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه)، بل إنها لا تدّخر وسعًا أيضًا لتبجيل (السيد المسيح عليه السلام)[13] بوصفه رسولاً للسلام والمحبة التي جاء الإسلام لتأكيدهما وتعظيمهما. وعمومًا، فهي على هذا الصعيد تبدو مقتنعة بأن كل الأديان والعقائد تمثل صيغًا مختلفة لتأكيد حقيقة وجود الله ونشر الحق والخير والجمال: (سأبهجك يا جدّي فلا تغضب.. وعليك باختيار من ترغب في أن تحكي لهم ما حدث في هذه الجزئية، ولكن رجاء لا تحكيها لأمي حليمة.. حين عدت يا جدي إلى البيت، أول ما قمت به وعزمت عليه ألا أتخلى عن الصلاة مطلقًا، وأنت تعرف أنني ومنذ صغري كنت أداوم عليها شهورًا ثم أكف عنها وأعود إليها في حالات ضعفي لأتوازن.. واظبت عليها رغم الأسئلة التي تنخر عقلي، ورغم بحثي عن إجابة للسؤال الأزلي حول الوجود. بكيت كثيرًا على "المصلاة" وناديت الله تعالى بعلوّ الانكسار الذي أصابني: "يا خالق الكون، أنر طريقي" وردّدت قول الحلاّج: "يا معين الضّنى عليَّ، أعنّي على الضّنى")[14]. كما يذكر لها، رغم كل الاختبارات الروحية المؤلمة التي تعرَّضت لها أكثر من مرة، ورغم كل ما أحاط بها من مغريات ودواع للاستغراق في أجواء اللهو والمتعة والمجون، أنها لم تنزلق باتجاه الاستعراض العدمي أو العبثي المبتذل – كما فعل بعض من قطنوا "فيينّا" من المثقفين العرب - وظلت متمسِّكة برصانتها ورزانتها وعقلانيتها ورسالتها الإنسانية الجادة.

ولا شك في أن موقفها المتوازن تجاه الرجل – مع أن قضية الدفاع عن حقوق المرأة المسلوبة تمثل أبرز التزاماتها- يبدو أكثر مواقفها جدارة بالتقدير؛ فرغم تأكيدها حقيقة إسهام الرجل الإفريقي في اضطهاد المرأة الإفريقية وسلبها حقوقها المدنية وتهميشها، إلا أنها لا تدخر وسعًا للتعبير عن تعاطفها العميق مع هذا الرجل، بوصفه ضحية أدوار ووظائف وثقافات اجتماعية سائدة، عمل الاستعمار والإفقار والتجهيل على قولبتها ضمن أطر وصور نمطية تحتاج إلى إلغاء أو تصويب أو تعديل، سواء حينما تستخدم من جانب اليمين الأوروبي لتعميق مشاعر الكراهية للمهاجرين، أو حينما تستخدم من جانب منظمات المجتمع المدني وحقوق الإنسان بحسن نية.

ولعل أقوى الأسباب التي أدت بكاتبة السيرة إلى اتخاذ هذا الموقف المتوازن تفكيرًا وتعبيرًا، يتمثَّل في حقيقة أن كل الرجال الذين كان لهم أدوار في حياتها؛ جدها وأبوها وأشقاؤها وأصدقاؤها، قد كانوا نبلاء ومضحِّين ومسالمين، فنجت لذلك من الوقوع في أسر تلك الحكاية

المتداولة في الكتابات النسائية، أعني حكاية الرجل الوغد الغاشم القاسي الأناني.. إلخ: (صورة الرجل الإفريقي لا تختلف عن صورة إفريقيا في الذهنية الأوروبية، وأثناء تناولي لموضوع التنظيمات كان لا بدّ من الوقوف عند التنميطات عن الرجل المهاجر عمومًا، والرجل الإفريقي على وجه الخصوص، فقد لعب الحزب اليميني النمساوي دورًا كبيرًا في هذا المجال، بخاصة إبان الانتخابات، واندفعت بعض الصحف النمساوية لتشويه صورة الرجل الإفريقي وتقديمه على أنه مروّج وبائع للمخدّرات. أما المرأة الإفريقية فتتمتع بحسب ما صوّرتها تلك الذهنية، بعجيزة كبيرة وصدر يسع الكون. غير أنها تلبس المزركش من الفساتين، وهي مختونة، وتثير الشفقة. ما يدعو للتأمل ما قاله لي أحد الذين أجريت مقابلات معهم، بأن ما يميز المرأة الإفريقية أنها "جيدة في السرير"، أما المرأة الأوروبية فـ"جيدة في المكتب"... ولكن ما زالت تلك الصور النمطية عن الرجل الإفريقي تشغلني، وكنت أضمّن ذلك في كل محاضرة أشارك فيها، وقمت بتحليل صورة الرجل الإفريقي وفقًا للمادة التي قمت بتجميعها: عنيف، فقير، مضطهد للمرأة، تاجر مخدّرات. وما يقال عن جسمه الفارع والسيقان الجميلة لرجال كينيا، وأنهم شبقون، ولهم أعضاء تناسلية كبيرة. وأذكر أن إحداهن سألتني عن حقيقة ما يشاع عن كبر العضو التناسلي للرجل الإفريقي، وهي صورة لا تختلف في ما تنطوي عليه من تشويه، عن تلك التي يرسمونها للمرأة الإفريقية)[15].

(الدانوب يعرفني) من حيث الأسلوب

وأما على صعيد الأسلوب، فلم تدّخر إشراقة مصطفى حامد وسعًا لتفعيل إيقاع السّرد عبر المراوحة بين الاسترجاع والتداعي وتوظيف تقنية التقطيع السينمائي والوصف والحوار و(شعرنة) لغة السرد، بما في ذلك استدخال الصور الشعرية المسهبة باستعاراتها وكناياتها ومجازاتها؛ ففي موازاة رحلتها شمالاً باتجاه النمسا وما يكتنف هذه الرحلة من مفاجآت ومفارقات، ثمة استعادات لأحداث وذكريات وشخوص ومواقف من السودان، إلى الحد الذي نشعر معه بأن ثمة (كاميرا) تتنقّل على نحو مدروس بين مشهد هنا ومشهد هناك. وقد حرصت كاتبة السيرة على اطّراد هذه الثلاثية: (**الآن – هناك – تصوير سينمائي**)، في كلّ الصفحات التي أفردتها لسرد تجربتها القاسية والمثمرة في آن واحد، بعد الوصول إلى فيينا والاستقرار فيها: (بدأت أستعيد توازني شيئًا فشيئًا، وسأواصل لك الحكاية يا جدّي، فلا تذهبوا بعيدًا كما غافلتموني وأنا أواجه منفى ذاتي، ورحلتم. سأحكي لك رحلتي التأمليّة، وكل ما ترغبون فيه، سأحكي لكم عمّا يحدث في ضفّتنا هذي؛ لكنني أخاف عليكم من الألم، فالحياة هنا صارت مؤلمة وقاسية وغبية وبلهاء)[16].

ولم تغفل عن أهمية الوصف العام أو الخاص بدقة واعتناء بالغين، فاستفاضت في وصف الميادين والشوارع والمباني، وظلت وفية لقارئها الفضولي؛ فأخذت بيده وأجلسته على مقاعد

الحدائق، ودعته لمجالستها في أكثر من مقهى، ودلفت معه إلى طوابق المباني وحجراتها، وأرته ألوان الجدران والستائر، مستحضرة ما يمكن استحضاره من حوارات مقتضبة – وأنّى لمهاجر لا يتقن الألمانية أن يحظى بحوارات مطوّلة في سني هجرته الأولى؟!- جرت في الممرات أو الشوارع أو المكاتب أو قاعات الدرس. وقد نفّذت كل هذه الإجراءات الأسلوبية، بلغة شعرية تفيض بالصّور والتشبيهات والاستعارات والكنايات والمجازات، دون أن تقطع الحبل السّردي الذي يصلها بالقارئ النّهم المتحفّز، والذي لن يتردّد في إدارة ظهره للسّارد، إذا ما أحس بأن هذه الشعرية قد فاضت عن حدّها حتى حجبت الأحداث أو الحكايات أو المواقف، فهو في المحصّلة الأخيرة مُولَع بالمغامرة السردية، ولو أراد الدهشة الشعرية لطلبها في دواوينها: (ورغم أنني أدرس بالتياع وحب كبير، إلا أن اللغة تعاندني وتقف صخورها بين عقلي وقلبي، أريد أن أحبها ولكن! الأشجار في الطريق تحدّثني عن سيرة شهوتها وعن مقاومتها، وتبتسم لي أوراقها التي بدأت تتفتّح بألوان متدرّجة. تحدّثني كلّما أتيتها في حديقة "بريغتا بلاتز" التي أعبرها كل يوم في طريقي إلى المدرسة، لغتها، لغة الأشجار حنون، فيها من حنان الأمهات ومن ضحكة شجر النيم والنخيل، فيها الكثير. الروز الذي سيتفتّح قريبًا، والربيع يتبختر بجمال نحو مواسم التفرهد وتفتّق الأشواك، تفتحت في قلبي جهنمية الإرادة، إرادة تحدّي قسوة الشتاء ومقاومتها)[17].

إن الحديث عن الأسلوب، يستدعي بالضرورة الوقوف أمام العتبات النصية للسيرة[18]، وبوجه خاص العتبة الرئيسة لها وأعني بها العنوان: (الدانوب يعرفني؛ الوجه الآخر لسيرة الأنهار)! فللوهلة الأولى يتبادر لذهن القارئ السؤال التالي: لماذا (الدانوب يعرفني)؟ وليس (النيل يعرفني)؟ وأحسب أن كاتبة السيرة تعمّدت إحداث هذا التساؤل، عبر الإصرار على العنوان الأول، تأكيدًا لرغبتها في شدّ انتباه القارئ لحقيقة أنها أُبعدت وأُقصيت عن وطنها وعن نهرها (النيل)، إلى درجة أنها لم تعد تعرفه وأنه لم يعد يعرفها، وأنها التحقت جسدًا وروحًا وذاكرة، بوطن ونهر آخر هما النمسا والدانوب. ومما يزيد من وقع مفارقة العنوان على وجدان القارئ، صورة الكاتبة السمراء وهي توشّح الغلاف الخارجي لسيرتها إلى جانب عنوان لا يحيل إلى إفريقيا أو السودان، بل يحيل إلى أوروبا والنمسا. لكن العنوان الفرعي الشارح يضطلع بمهمة تلطيف القسوة التي تثوي في عمق هذه المفارقة، لأنه لا يخلو من مسحة عزاء وتهوين على الكاتبة وعلى القارئ في آن واحد؛ فالمهم عند الكاتبة أن تنتمي جسدًا وروحًا وذاكرة لنهر ما، لأن هذا الانتماء يمثل تعويضًا كافيًا عن أي انتماء، فالأنهار في المحصلة الأخيرة – كما ترى الكاتبة- تتشابه وتتكامل، وما علينا إلا أن نُحكم ارتباطنا بواحد منها.

وإذا كانت كاتبة السيرة نجحت إلى حد ملحوظ في ترسيخ المفارقة الأبرز في هذه السيرة، فقد جانبها التوفيق حينما استهلت هذه السيرة بأربع مقدّمات لكتّاب آخرين[19]، لم يدّخروا وسعًا لتسليط الأضواء على الجوانب التي رأوا أنها جديرة بالتنوير في شخصية وسيرة الكاتبة، لكنهم –

في تقديري- أفسدوا على القارئ متعة الوصول الذاتي إلى الزوايا البعيدة والمتوارية في تجربتها، فكانوا – فعلاً- كمن وضعوا العربة أمام الحصان! إذ تكفّلت مقدّماتهم بتبديد كثير من الغموض والفضول اللذين يمثّلان – فيما أرى- الدافعين الرئيسين لتجشّم عناء القراءة عند قرّاء السيرة الذاتية. ولو أن كاتبة السيرة اكتفت بالشكر والإهداء – رغم إسهابهما الملحوظ - لحافظت على الاكتناز المطلوب الذي لا ينبغي تبديده أو التفريط به، وبخاصة لأنها ختمت سيرتها الروائية هذه بسيرة مهنية (C.V) دقيقة، اضطلعت إلى حدّ بعيد بملء الفجوات التي اعتورت السيرة الأدبية، سواء لأسباب فنية أم لأسباب شخصية حالت دون سدّ هذه الثغرات فظلّت غامضة في ذهن القارئ.

على أن هذا الثّلم في بنية السيرة التي يجب أن تقدّم نفسها بنفسها للقارئ، لم يمتد إلى العتبات الثانوية أو العناوين الفرعية للفصول، فجاءَت متساوقة متناغمة كما لو أنها أبيات متتابعة في قصيدة طويلة على هذا النحو: (سيرتي – الغريبة- الخطوة الأولى- بدايات الاكتشاف- عشب على صخرة اللغة- المعادلة- الطريق- هزيمة اليأس- وجع الروح- اليقين- ذاكرة العنقريب[20]- الوعي الفاعل- دوائر الغضب- ينابيع المقاومة- نزف الكينونة- نوافذ- الوطن- الحب في المهجر- بيت الغريبة- إلزا قرية الشموس- عذابات الوجود- سيرة الموت- النمسا- الإبداع- أشواق البُنّ والأمكنة- يتيمة في غربتي- نعم أنا هنا)! ولو تأمّلنا هذه العناوين الفرعية بعمق، لأمكننا استنباط العديد من العلاقات الثاوية بينها. وللتدليل على ذلك فسوف نكتفي بإيرادها مرة ثانية على هذا النحو:

*(سيرتي/ الغريبة/ الخطوة الأولى/ بدايات الاكتشاف/ عشب على صخرة اللغة/ المعادلة)؛ فهذه السلسلة من العناوين الفرعية تبرز معنى البحث عن الذات ودلالته وقسوة الارتطام الأول ثم التوقف عند مفترق الطرق.

*(الطريق/ هزيمة اليأس/ وجع الروح/ اليقين)؛ وهذه السلسلة أيضًا تبرز معنى النهوض ودلالته مجددًا والإصرار على متابعة المشوار وصولاً إلى الشعور بالرضى عن الذات.

*(الوعي الفاعل/ دوائر الغضب/ ينابيع المقاومة/ نزف الكينونة/ نوافذ)؛ وهذه السلسلة كذلك تبرز معنى ثورة الوعي ودلالته وتمرده وآلامه وصولاً إلى استقراره على حال التأمّل.

مأساة الهوية الملتبسة في (الدانوب يعرفني)

كم كانت هذه السيرة ستبدو ناقصة لو أنها لم تتصدّ لسؤال الهوية ولم تعمل على الإجابة عنه. لكنها – ولحسن الحظ - تصدّت له بشجاعة كبيرة وأجابت عنه بشجاعة أكبر؛ فمأزق الهوية – وفق كاتبة السيرة - يتمثّل في تغوّل الخصوصية العربية على حساب الخصوصية الإفريقية، وهذا لا يعني أنها تقف من العروبة موقفًا مضادًا، بل هي ترى أن الهوية السودانية سوف تستقر

وتتوازن لو أن الأنظمة السياسية المتعاقبة قد اعتنت بالخصوصيتين معًا، بحيث يكون السوداني قادرًا على التواصل مع محيطه وثقافته الإفريقية كما هو قادر على التواصل مع محيطه وثقافته العربية.

لقد أفضى هذا العَرَج في هوية السوداني إلى فجوة مؤلمة، تتمثَّل أبرز أعراضها في أنه يعرف عن المشرق العربي وعواصمه وأحداثه أكثر مما يعرف عن أريتيريا وأثيوبيا والصومال[21]، وفي أنه لم يتمكن من التواصل مع نصفه الأكثر زنوجة – جنوب السودان - فخاض صراعًا مريرًا مع نفسه وصل حد الإقصاء والإلغاء والتهميش والتجاهل ومن ثم الانفصال التام، ولو أنه عُلِّم ودرِّب على معرفة تقبّل وتفهّم نصفه الآخر لما حدث ما حدث. لهذا كلِّه فقد واظبت كاتبة السيرة على أن تجيب كلَّ من يسألها عن موقعها الجغرافي من السودان بقولها: من وسط السودان! حتى تغلق باب الاستطراد غير المحمود الذي قد يترتب على قولها إنها من الشمال أو من الجنوب: (الأسئلة التي تعود إلى التنميط والمفاهيم المعلّبة التي ينبغي أن أحشد فيها. من الشمال يعني مسلمة وعربية، من الجنوب يعني مسيحية إفريقية، فكنت أقول: "أنا من وسط السودان"، من دون أن أوضِّح لهم أين تقع "كوستي" ولكنها كانت محاولة لحماية نفسي من التنميط، وتجنب نظرة الاتهام التي أُحسها بأننا مسؤولون عما يحدث في الجنوب، إذ سرعان ما أتحول إلى مذنبة ومسؤولة عن تاريخ كامل كان أول من لعب فيه هو المستعمر وسياسات الحكومات التي تلت الاستقلال)[22].

ومع ذلك فقد ظلت كاتبة السيرة تدفع ثمن هويتها الملتبسة المتداخلة؛ هويتها العربية الإفريقية الأوروبية، هويتها الإسلامية الماركسية الليبرالية، لسنوات طويلة، وعلى نحو مؤلم جدًا؛ فهي في عين السوداني الشمالي خائنة لعروبتها، وهي في عين السوداني الجنوبي عدوة لإفريقيتها، وهي في عين الأوروبي الشمالي ليست أكثر من مهاجرة دخيلة متطفّلة. وهي في عين العربي المشرقي أو المغربي مارقة متمرِّدة على ثقافتها وحضارتها وأصلها وجذورها.

بعيدًا عن هذه التفريعات وقريبًا من أرض الواقع، فقد حدث أن بادرت الكاتبة للتواصل مع بعض مواطنيها السودانيين الشماليين فأعرضوا عنها، وحدث أن مدّت يدها لمصافحة نساء ينتمين لجنوب السودان – ظنًا منها بأن قضية المرأة تَجُبّ جراح السياسة - فلم يصافحنها[23]، بل إن بعض النساء العربيات المشرقيات شكّكن بعروبتها لمجرّد أنها سمراء البشرة ورغم أنها كانت الداعية الأولى لعقد اللقاء الذي شهد هذه الواقعة المُفْجعة: (اجتمعنا في مقهى معهد "الإفرويشن" بالحي التاسع بـ "فيينّا" وأنا لم أكمل بعد عامي الأول؛ كنا نساء إفريقيات من دول مختلفة، وقد لقيت الفكرة ترحيبًا شديدًا، وفرحت أكثر حين تحمسن لمقترحي بأن يكون اسم المنظمة "وانجا" في "تويجات الدم"، فقد كنت قرأتها في السودان قبل سنين طويلة وهي نموذج للمرأة المناضلة. كلمة "السودان" هذه كانت كافية لأن تقول إحدى الزميلات المجتمعات: "ولكنك لست إفريقية ولا نريد معنا عربًا"! بعد عام شاركت مع عدد من الأخوات العربيات في

تكوين أول رابطة للمرأة العربية في النمسا، وجاء الحكم نفسه من ناشطة عربية أثناء مناقشة ساخنة في وجهات النظر بأنني لست عربية. لحظتها انفجرت بالبكاء الحار أمام المجموعة وكانت أولى المواجهات الصارخة مع ذاتي: أين أنا؟ هل هناك كيان اسمه "الإفروعربي" لأنتمي إليه؟)[24]. ولكن الأقسى من كل ما تقدّم، تمثّل في ذلك التمييز المُضْمر الذي مورس تجاهها من طرف رفيقاتها الأوروبيات اللواتي ينتمين لتيارات يسارية وتقدّمية، فقد دفَنَّ عداءَهن لها تحت طبقة سميكة من الإلحاح على الإجراءات واستكمال التفاصيل الخاصة بالبيانات والنماذج المتصلة بدعم بعض المشاريع التنموية في السودان[25].

وإزاء كل هذه التقاطعات الشائكة في مربّع الهوية، تعمد كاتبة السيرة إلى تضميد جراحها بالإنسانية هوية وموقفًا وسلوكًا، فهي الهوية الوحيدة –وفق وجهة نظرها- التي يمكن أن تتكفل بتذويب كل التصنيفات والتحيزات: (هل كان من السهل أن أفتح جراحاتي كإنسان.. كإمرأة، وكوطن لرياح التغيير ولشمس الآخر بكل سطوتها ومعرفتها وجبروتها؟ أن أفتح عقلي للمعرفة بلا حواجز ومتاريس، وأن يزداد نهمي لتمهيد الدروب الشائكة؟ كيف أبحرت في نهر عذاباتي الذي تلوّن بدماء ذاتي واجتراحاتها حين واجهتها بسؤال: من تكون؟! كيف تسامت ذاتي عن حواجز البشرة وملامح البشر؟! كيف كسرت حاجز الخوف من الآخر، وكيف تعلّمت منه وتعلّم منّي أن ننبت فينا إنساناً؟ قصة امرأة من بلاد بعيدة موغلة في "أدغالها" و"فقرها" و"تخلّفها". هكذا واجهت صورتي في مرآة "الغرب")[26].

وإذا كانت كاتبة السيرة قد وجدت في (الإنسانية) إجابة مريحة عن كل أسئلة هويتها الحضارية والثقافية وتناقضاتها وتعقيداتها، فإنها لم تدّخر وسعًا أيضًا للإقرار ببعض الجوانب التي قد يعدّها البعض ضعفًا وخوارًا في الهوية الأنثوية، فلم تتردد في الإفصاح عن لحظات انهيارها ونوبات بكائها الطويلة الكثيرة، إلى درجة يصعب معها على القارئ أن يتخيلها غير باكية لأسباب ذاتية أو لأسباب غيرية أو لأسباب موضوعية. ولكن القارئ المدقِّق سرعان ما يدرك حقيقة أن كاتبة السيرة لم تسرد كل هذه البكائيات عبثًا، بل إنها أوردتها اقتناعًا منها بأن البكاء يمثل في حد ذاته لغة تعبير واحتجاج وجسرًا ضروريًا لإعادة تأهيل الذات والتصالح مع الواقع القاسي، فهو جزء من الإنسان بوجه عام وجزء من الأنثى بوجه خاص؛ إنه ليس عيبًا ولا عارًا، بل هو تأكيد لإنسانية الإنسان ولرقّة المرأة: (ينبغي أن أسرع حتى لا تفوتني المحاضرة بالجامعة. أتلكّأ في السير بفعل الإنهاك الذي نخر عظم روحي، أجلس على مقعد على الطريق الخاوية بعد أن أمسحه من الجليد المتراكم، وحين يقلّ عدد المارة بهذه الطريق المعزولة الآمنة أجلس لأبكي بحرقة كل أحلامي، أنتحب وتنتحب معي قصائدي التي آويتها وريدًا بعيدًا في بؤبؤ نجمة لا تطل على هذه السماء الملبّدة بالغيوم، فصّ الملح الذي انحدر من عينيّ اختلط بفصوص الجليد التي انهمرت

من السماء. البكاء يغسلني، يصحّيني، ينادي حفيف دفء ما، أرتعش له بكل الحنين وأجترح عذاباتي.. هذا المكان في تلك البقعة المتصحّرة ينتمي إلى تلك الآهات والدموع السخيّة)[27].

والغريب في هذه السيرة، أنها تعجُّ بكثير من لحظات الخوف والانهيار، لكنها تخلو - على نحو مثير للتساؤل - من الإفصاح عن هوية الحبيب أو هوية الزوج، رغم أن كاتبة السيرة تؤكد - عرَضًا – أنها أحبَّت وأنها تزوجت وأنها أنجبت ابنين وأنها انفصلت عن زوجها[28]. وأيا كان سبب هذا التحرّز، فإن هذا الإحجام عن الخوض في تفاصيل الحياة العاطفية أو الزوجية، سيظل أبرز المآخذ على السيرة وكاتبتها، وبخاصة لأن الكاتبة لم تتردد في الإفصاح عن كثير من التفاصيل الأنثوية الحميمة. ولا يدانيه من المآخذ القليلة على هذه السيرة سوى المبالغة الملحوظة في تصوير المعاناة التي لحقت بالكاتبة جرّاء صعوبة ومأساوية تعلّم اللغة الألمانية، وجنوح لغة الكاتبة في الفصلين الختاميين باتجاه السرد التقريري الوظيفي[29].

حسم الخيار النهائي في (الدانوب يعرفني)

الأغرب في هذه السيرة يتمثل في الخيار النهائي لكاتبة السيرة؛ فهي رغم كل إنجازاتها الأكاديمية والنضالية والإنسانية في النمسا، والتي تؤهلها للعودة إلى السودان محمولة على أكف أصدقائها وزملائها وأقاربها، إلا أنها تختار الاستقرار في النمسا بوصفها وطنًا وملاذًا، دون أن تغفل عن الرثاء لوطنها الفقير المتعثِّر. ومع أن العتبة الأولى لسيرتها (الدانوب يعرفني) يشي بهذا الخيار إلى حد بعيد، إلا أن الموضوعية تملي علينا الاعتراف بأن أملاً ما قد ظل يراودنا بأن تعود كما عاد (مصطفى سعيد) في (موسم الهجرة إلى الشمال)، وأن تصلح ما أفسده ذلك الفاتح السوداني الذي اقتحم لندن بعقله وفحولته[30]، ما اضطره إلى العودة إلى قريته البسيطة الوادعة مهدّمًا، رغم الخاتمة المفتوحة التي تسرد بضمير الراوي ولا تخلو من رسيس تمسّك بالحياة وضرورة البدء من جديد: (استقرّت السماء واستقرّ الشاطئ، وسمعت طقطقة مكنة الماء، وأحسست ببرودة الماء في جسمي. كان ذهني قد صفا حينئذ، وتحدّدت علاقتي بالنهر أنني طاف فوق الماء ولكنني لست جزءاً منه، فكرت أنني إذا مت في تلك اللحظة فإنني أكون قد متُ كما ولدت، دون إرادتي. طوال حياتي لم أختر ولم أقرّر. إنني الآن أختار الحياة. سأحيا لأن ثمة أناسًا قليلين أحب أن أبقى معهم أطول وقت ممكن، ولأن عليّ واجبات يجب أن أؤديها، لا يعنيني إن كان للحياة معنى أو لم يكن لها معنى. إذا كنت لا أستطيع أن أغفر فسأحاول أن أنسى. سأحيا بالقوة والمكر. وحرّكت قدمي وذراعي بصعوبة وعنف حتى صارت قامتي كلها فوق الماء. وبكل ما بقي لي من طاقة صرخت، وكأنني ممثِّل هزلي يصيح في مسرح: "النجدة... النجدة")[31].

إن إشراقة مصطفى حامد لا تتردّد في مواجهتنا بالحقيقة المرّة: لم تعد أوروبا مفتونة بالفاتحين السُمر ولم تعد مستعدة للتسامح معهم، ولم تعد المأساة تتمثَّل فقط في ضرورة تسوية

الحساب مع أوروبا بوصفها امرأة لعوبًا، بل إن المأساة تتمثل الآن في أن المُستعْمِرِ والمستَعْمَر قد أصبحا شركاء في تبديد إنسانية الإنسان، بهذا القدر أو ذاك: (من أكون؟ هل يغيّر الجواز النمساوي لون بشرتي ولغتي وديني؟ اسمي وشقاوة ضفائري التي تشير إلى خريطة امرأة جميلة ومعتّقة بسيرة التواريخ الأليمة، تواريخ المقاومة والتحدي، اسمها إفريقيا؟ هل سيُنطق اسمي بسهولة من دون أن تكون القاف كافًا في لثغة لسان؟... هوية أم هويّات؟ هويات، هويات تتصالح في فضاءات "القلم"، الكتب والكتابة، الكتب التي فتقت ذهني على شموس من كل بلاد العالم، الهوية الإبداعية حيث أجد نفسي بلا قيود وبلا متاريس، والهوية السياسية التي توحّد رؤيتنا حول ما يحدث في العالم، وأنخرط حتى هديل القلب وأمامي أفق الإنسانية العريض، الأفق الذي يؤكد أن الأرض وطن للجميع وأن الحدود رسمها الإنسان)[32].

لقد كان متوقّعًا أن تختم الكاتبة إشراقة حامد سيرتها الذاتية، بالدعوة إلى التفاؤل والتمسّك بالأمل والإصرار على مواجهة الواقع القاسي، رغم كل ما يمور به هذا الواقع من تحديات وخيبات. قلت: كان متوقّعًا؛ لأنها بدت، منذ سطور سيرتها الأولى، وفي أعمق أعماقها، مقاتلة عنيدة، يصعب أن تستسلم، حتى لو ظهرت لنا ضعيفة من آن لآخر. ومع أنني لا أجزم بأن الغاية الرئيسة المبتغاة من كتابة السيرة الذاتية هي التظاهر بالقوة أو الدعوة إلى مواجهة تحديات الحياة بشجاعة مطلقة – لأن هناك من حالت ظروف حياتهم دون إمكانية اضطلاعهم بأدوار بطولية بالمعنى التقليدي السائد للبطولة - إلا أن الإنسان في هذا العالم القاسي بوجه عام، والإنسان العربي في عالمه المضطرب القلق الطاحن بوجه خاص، هو في أمس الحاجة لِسِيَر ذاتية مُلْهِمَة، تعمق إحساسه بجدوى النضال اليومي من أجل تحسين مستوى معيشته في الحد الأدنى، وتزرع له أجنحة يمكن أن يحلّق بها باتجاه الحرية والعدالة والمساواة واحترام الذات في الحد الأعلى. ومع ضرورة تأكيد أهمية الالتصاق بالصدق الواقعي، فإن الإنسان العربي آخر من يحتاج سيرًا ذاتية محبطة. ولذلك فليس غريبًا أن تنثر الكاتبة بين يدي قرّائها العديد من المقولات / الخلاصات / الحِكَم... التي يمكنني أن أختار منها ما يلي[33]:

* 24 عامًا كسبت فيها ما كسبت، وفقدت ما فقدت.

انكسرتُ ألف مرة... نهضتُ ألفي مرة.

خُذلتُ وما زلت أُخذَل..

غنّيتُ وبكيت وشدا قلبي للحياة..

* 24 عامًا معيارها عندي ليس الكسب والخسارة.. بل ما تعلّمته وما أزال أتعلّمه. أفضل ما تعلّمته لم يكن في الجامعات التي عبرتها بلهفة ورغبة في المعارف.. ما تعلمته كان من الحياة.. من الشارع.. من الناس.. تعلمت كثيرًا وجُرحت كثيرًا.

* 24 عامًا وحقيبة متوسطة الحجم ما زالت تفوح بروائح القصاصات والبهارات وحكايات الهوى الأول.. الحقيبة التي ظلّت في انتظار عودتي إلى تلك البلاد.

وحتى نظهر للقارئ الأهمية الاستثنائية التي انطوت عليها هذه الخاتمة، فسوف نكتفي بالإحالة إلى إحدى أبرز السِّير الذاتية العربية، التي اشتملت على قصة نجاح شخصي وعلمي مدوِّية، لكن كاتبها مع ذلك – ربما بسبب ضياع وطنه وضغط سنوات الشيخوخة - آثر أن يختمها على نحو مؤلم وحزين. يقول إحسان عباس في ختام سيرته: (وخير ما أختم به هذا الفصل قول شاعر العربية الكبير محمود درويش:

(ههنا حاضر.
لا زمان له
..... وفي
أي وقت وقعنا عن الأمس فانكسر
الأمس فوق البلاط شظايا يركبها
الآخرون مرايا لصورتهم بعدنا)[34]

ويؤكد إحسان عباس هذا الموقف المتشائم من الحياة، رغم مسيرته الشخصية والأكاديمية الحافلة بالإنجازات، فيقول من قصيدة له، مشبهًا الحياة بحبيبة خائنة:

(إن التي من أجلها تموت
إنسانة يابسة أو شجرة
تصوّحت فيها الغصون اليانعة
جفّ العطاء في عروق حبها
كأنها قد نسيت كلّ الليالي الرّائعة
واحتقرت قلبك حين لم تعد في قلبها
خانتك؛ خانت عهد حبٍّ
كنت مخطئًا ظننت إنه ليس يموت)(35).

خاتمة

نخلص من هذه القراءة النقدية إلى القول بأن إشراقة حامد قد استوفت في (الدانوب يعرفني) معظم شروط السيرة الذاتية الناجحة والمؤثّرة، سواء على الصعيد الأدبي الإبداعي أم على الصعيد الاتصالي مع القارئ. وقد عزّزت هذه الجدارة عبر العديد من التقنيات الأسلوبية اللافتة، مثل: الاسترجاع والتداعي والقطع السينمائي والوصف والحوار وشعرنة السرد، كما حازت قدرًا كبيرًا من المصداقية عبر تصوير تقلّبات الذات ومراوحتها بين لحظات القوة والضعف والاعتدال الملموس على صعيد المواقف السياسية والأيديولوجية والجندرية. وإن كان التحرّز من الإفصاح عن تفاصيل الحياة العاطفية أو الزوجية، والإسهاب في تصوير المعاناة التي اشتمل عليها تعلّم الألمانية، والميل إلى الوصف التقريري في الفصلين الختاميين، تمثل أبرز المآخذ على هذه السيرة، فإن اتجاه كاتبة السيرة لحسم هويتها من منظور إنساني سيظل أكثر معالم هذه السيرة إثارة للتساؤل والمناقشة.

After Migration to the North: Reading in the Biography of Ishraqa Hamid (Danube Knows Me)

Ghassan Ismael Abdelkhaleq, *Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts and Arts, Philadelphia University, Amman, Jordan.*

Abstract

This research aims to shed some light on a remarkable Arab feminist biography in terms of form, content and style. The Sudanese writer, Ishraqa Hamid, was distinguished by her biography (Danube Knows Me) when she narrated her personal, political, scientific and cultural experiences from a human perspective and far from fanaticism or prejudice despite the difficult circumstances that she has experienced over many years. The researcher explores and analyzes this biography from a critical perspective, highlighting the creative features without denying few stylistic or thematic defects.

الهوامش

(1) نشرتها مجلة حوار في عام 1966، ثم أصدرتها دار العودة في كتاب في العام نفسه.

(2) نذكر على سبيل المثال لا الحصر: رواية (على الدنيا السلام) لذي النون أيوب التي صدرت في عام 1971، ورواية (برهان العسل) لسلوى النعيمي التي صدرت في عام 2007.

(3) بدأها طه حسين في عام 1934 برواية (أديب)، وتلاه توفيق الحكيم في عام 1938 برواية (عصفور من الشرق)، ثم مهّد الطريق سهيل إدريس في عام 1953 برواية (الحي اللاتيني)، وكاد الطيب صالح يتمّه في عام 1968 برواية (موسم الهجرة إلى الشمال)، ثم ألحق به نجيب محفوظ إزاحة كادت تكون حاسمة في عام 1983 عبر روايته (رحلة ابن فطومة)، لكن علاء الأسواني أعاد تمهيده في عام 2007 عبر روايته (شيكاغو). انظر: غسان عبد الخالق، بساط الريح، ص118.

(4) المرجع السابق، ص119.

(5) محمد شاهين، تحوّلات الشوق، ص72.

(6) إشراقة حامد، الدانوب يعرفني؛ الوجه الآخر لسيرة الأنهار، دار الآن ناشرون وموزّعون، عمّان، 2017.

(7) انظر على سبيل المثال: حسن عليان، أثقل من رضوى؛ مقاطع من سيرة ذاتية، ص11-38.

(8) تم استقاء موجز سيرة الكاتبة استنادًا إلى السيرة المهنية (C.V) التي ختمت بها سيرتها الذاتية بوجه خاص، وإلى سيرتها الذاتية المكتوبة بوجه عام. انظر: إشراقة حامد، الدانوب يعرفني، ص350-353.

(9) انظر: عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص134-138.

تيسير مشارقة، البعد الاتصالي للسيرة الذاتية، ص36-42.

(10) إشراقة حامد، الدانوب يعرفني، ص81-82.

(11) المرجع السابق، ص101-102.

(12) إشراقة حامد، الدانوب يعرفني، ص39.

(13) ما ورد بين قوسين مقتبس من كلام الكاتبة.

(14) إشراقة حامد، الدانوب يعرفني، ص132-133.

(15) المرجع السابق، ص193، 219-220.

(16) المرجع السابق، ص133.

(17) المرجع السابق، ص73.

(18) انظر: سامح الرواشدة، إشكالية التلقّي والتأويل، ص97.

بسام قطوس، سيمياء العنوان، ص38.

موسى ربابعة، جماليات الأسلوب والتلقّي، ص161.

(19) وهم على التوالي: خميس بن راشد العدوي، نجيب نور الدين، ساريتا جينماني، وجعفر العقيلي.

(20) استثنينا (العنقريب) من السلسلة الثانية، نظرًا لأن دلالته غامضة عند غير السودانيين، علمًا بأنه يعني المقعد الخشبي الطويل الذي يُستخدم أيضًا كسرير.

(21) المرجع السابق، ص233.

(22) المرجع السابق، ص225-226.

(23) المرجع السابق، ص191.

(24) المرجع السابق، ص224-225.

(25) المرجع السابق، ص189.

(26) المرجع السابق، ص228.

(27) المرجع السابق، ص104-105.

(28) المرجع السابق، ص45، ص231-232، ص347.

(29) المرجع السابق، ص320-329.

(30) محمد شاهين، تحوّلات الشوق، ص24.

(31) الطيب صالح، موسم الهجرة إلى الشمال، ص171.

(32) إشراقة حامد، الدانوب يعرفني، ص235-236.

(33) المرجع السابق، ص345-349.

(34) إحسان عباس، غربة الراعي، ص267.

(35) إحسان عباس، غربة الراعي، ص271.

المراجع

إحسان عبّاس، **غربة الراعي، سيرة ذاتية**، دار الشروق، عمّان، 1996.

إشراقة مصطفى حامد، **الدانوب يعرفني، الوجه الآخر لسيرة الأنهار**، دار الآن ناشرون وموزعون، عمّان، 2017.

بسام قطّوس، **سيمياء العنوان**، وزارة الثقافة الأردنية، عمّان، 2002.

تيسير مشارقة، **البعد الاتصالي للسيرة الذاتية**، بحث منشور ضمن أعمال ملتقى جامعة آل البيت الثقافي (أدب السيرة والمذكّرات في الأردن)، 1990.

حسن عليان، أثقل من رضوى؛ مقاطع من سيرة ذاتية، بحث منشور ضمن كتاب "**دراسات في أدب السيرة الذاتية**"، دار فضاءات، عمّان، 2016.

سامح الرواشدة، **إشكالية التلقّي والتأويل**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمّان، 2001.

عبد العزيز شرف، **أدب السيرة الذاتية**، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة، 1992.

غسان عبد الخالق، **بساط الريح**، دراسات تطبيقية في أدب الرحلات، وزارة الثقافة، عمّان، 2015.

الطيب صالح، **موسم الهجرة إلى الشمال**، دار العودة، ط2، بيروت، 1969.

محمد شاهين، **تحوّلات الشوق في موسم الهجرة إلى الشمال**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1993.

موسى ربابعة، **جماليات الأسلوب والتلقّي**، دار جرير للنشر والتوزيع، عمّان، 2008.